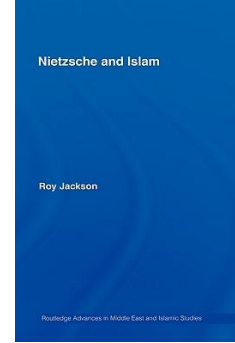


خارج عن الطوق؛ فيلسوف تلخص تقواه في افتقاره إلى الإيمان بأيّ نظام علماني يمكن أن يوفر للإنسانية أيّ وجود ذي مغزى. في هذا السياق، يصرح جاكسون بأمله أن يعي الإسلام تقوى نيتشه وتعلّقه بفكرة الله الحيّ، فلا يرى هذا الدين في العلمانية عدواً، ويحصّن نفسه من ميوله الأفلاطونية من خلال موقف ليبرالي تعدّدي تجاه دعاواه بشأن الحقيقة من أجل توسيع تفسيراته لمبادئه الرئيسة.

وينظر جاكسون إلى الإسلام بوصفه ظاهرة عربية تشمل القرآن الكريم، والنبي محمد، والمدينة المنورة بوصفها أول دولة إسلامية، والخلفاء الراشدين، وهذه الأطراف الأربعة في نظر جاكسون مسائل لا غنى عنها لتعزيد إيمان المسلمين. ويبين المؤلف أنه يقدم تقييماً يتقرب من علم الجينالوجيا (الأنساب) للتفسيرات الرئيسة للقرآن الكريم، في حين يبحث في المصطلحات والمفاهيم البارزة، لإلقاء الضوء على تطور المذاهب والخلافات السائدة في الإسلام نتيجة هذه المذاهب. هكذا، يقترح جاكسون على علماء المسلمين وباحثيهم استخدام أسلوب نيتشه التأويلي والجينالوجي لإظهار الروح المفقودة للإسلام عن طريق إعادة تحليل النصوص المقدسة. وبعد ملاحظة التراث الكبير من التأويل داخل الإسلام، يقول المؤلف إن ظهور التفسير والتأويل [بمعنى الإيضاح والتفصيل] على أنهما علم لا يؤشر على رغبة العلماء المسلمين في المشاركة في الأعمال التي وضعها أسالفهم بل على رفضها. من المهم الإشارة هنا إلى أن نهج جاكسون التأريخي

نيتشه والإسلام
المؤلف: روي جاكسون
روتليدج، ٢٠٠٧
طريق ثالث بين مهالك الأصولية
وأخطار العلمانية



يسعى كتاب «نيتشه والإسلام» (٢٠٠٧) لروي جاكسون إلى تبيان كيف أن موقف نيتشه التأويلي والمعرفي قد يُمكن الإسلام المعاصر من إحياء جوهره العربي من خلال اكتشاف المعاني الأصيلة لنماذجه الأصيلة. إن هذا الكتاب محاولة جريئة للتعامل مع مجموعة من المسائل الشائكة في الخطابات الرئيسة للإسلام؛ تلك المسائل الالتفافية التي تستنزف الإيمان بإمكانية وجود حياة فعالة وخصبة. ولا يفوت المؤلف أن يرصد في هذا الشأن سوء الفهم بين العالم «الإسلامي» والغرب، مشيراً في هذا الصدد إلى أطروحة «صدام الحضارات»، ورؤى الغرب عن الإسلام بعد هجمات الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر، علاوة على الخطابات الشائعة داخل المجال الثقافي الإسلامي ومسايعها المختلفة. ويخلص المؤلف إلى أن الإسلام قادر على استخدام العلمنة للتعامل على نحو أفضل مع الحداثة. ويلفت جاكسون إلى أن نيتشه الذي يحمل حديثه النادر عن الإسلام ثناءً كبيراً له في مقابل هجومه الضاري على المسيحية قد يكون فهم على أنه فيلسوف

أساطيرها من أجل إسلام أكثر اكتنازاً. ويلاحظ المؤلف كيف أن فرداً من «الإنسان المتسامي» (مصطلح نيتشه) أو الأمير الجديد (مصطلح جاكسون مع كلمة «أمير» بالعربية) يمكن أن يستخدم التفسيرات التاريخية لتأطير رؤية تناهض فكرة الإسلام المتجاوز للتاريخ، مما يمكن معه تجديد الدولة المسلمة على نحو يوافر حرية المؤمنين في العيش وفقاً للشهادة «ضمن الوحدة والاتحاد مع الله». على النقيض من النموذج المثالي غير القابل للتطبيق الخاص بدولة الخلافة أو دولة الراشدين، ما يقترحه جاكسون من إعادة ترميم علاقة الإسلام بهذه الرؤية الطوباوية لأيامه الأولى سيشجع الفرد على أن يعقد علاقة ذاتية مع الله تتجاوز ما تراه المؤسسات الدينية من ضوابط صارمة للدين بموجب هذه الرؤية.

ويبدو جاكسون على قناعة بأن صحوة أو نهضة إسلامية يمكن أن تبدأ من خلال الإفادة من تطبيق تأويل نيتشه، لتجديد جوهر الإسلام ضد خرافات يقوم عليها محافظون بغية الحفاظ على الإسلام آمناً حسب تقديرهم. في مناهضة لثقافة الطاعة التي تفرضها السلطات التقليدية، يرى مؤلف كتاب «نيتشه والإسلام» أن الإسلام، في جوهره، متمرد وثوري ومعني على الدوام بالإصلاح والتجديد. وبمصطلحات نيتشه، فإن البشر أنشأوا الأصنام من إرادتهم في الوصول إلى الحقيقة، إلا أن جوهر الإسلام هو، في الواقع، تحطيم هذه الأصنام. لذلك، يرى المؤلف أن نموذجاً ناهضاً حقاً من الإسلام يليق بأمة الإسلام الحقة، أو دار الإسلام، حيث إن الشريعة لا يمكن فصلها عن السياسة

النقدي يتناقض مع رؤية بعض الكتاب العرب من ذوي النزعة المتطرفة. ففي الوقت الذي يصف فيه السيد قطب العصر الراهن بأنه عصر جاهلية بسبب ابتعاد الناس عن تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً صارماً وفق مفهومه، يضع جاكسون مرحلة الجاهلية في حالة تناقض مع الحاضر مع أنه يرى أن معرفة الله آخذة بالتلاشي في عصرنا الراهن. يشي هذا التعامل مع الجاهلية والحاضر بطبيعة تشخيص المؤلف للعلّة التي تضعف الروح المعاصرة للإسلام، وهي علّة لا ينبغي التغلب عليها بتطرف سيد قطب، وإنما، على النقيض، من خلال الهدوء والسكينة استلهاماً للقرآن الكريم الذي يقرن الجاهلية بالانفعال الأهوج، ويربط الإيمان بالهدوء: ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحقّ بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً ﴾ (سورة الفتح، ٢٦). هذا التناغم الذي يريده الإسلام لم يعد ملحوظاً في الوقت الراهن بسبب غياب المرونة العقائدية، وفق جاكسون.

خلال كتاب «نيتشه والإسلام» يدّعي المؤلف أن إطار نيتشه التفسيري يهيئ العلماء المسلمين لإعادة تقويم فهمهم للسرد الوارد من ما يُصطلح عليه بـ«العصر الذهبي» للإسلام، والذي يمثل عصر الرسول والخلفاء الراشدين. هذا السرد يحمل «رؤية طوباوية» لإسلام يتجاوز التاريخ، وتتصل هذه الرؤية على نحو وثيق بالخطاب الإسلامي المعاصر. هنا، يحذّر جاكسون من مغبة هذه الرؤية الطوباوية ويدعو إلى التغلب على

مستقلين، يشير جاكسون إلى أنهما غير منفصلين عن بعضهما بعضاً؛ ذلك أن العناية بالبعد التاريخي من خلال التطلع إلى عصوره النموذجية مسألة يحولها البعد العابر للتاريخ إلى أصنام من الصعوبة تحطيمها. وهكذا، فإن نسف هذه الأصنام يقتضي استيعاب أسباب وجودها. وتعتمد وجهة تحطيمها على مدى الضرر الذي تسببه في منع الإسلام من الوقوف على قدميه.

في ما يتعلق بصدام الحضارات، يحذر جاكسون من أن الأخطار المحيطة بالإسلام لا تنبعث من الغرب، أو من العلمانية، وإنما من داخل الإسلام نفسه بسبب بعض مفاهيمه نفسها التي تكرر الرؤى الطوباوية التي ترفض أي مراجعة بل ترى في الإسلام نمطا يتجاوز التاريخ. إن هذا الخطر يتولد من غياب عملية الإحياء الأصيلة لجوهر الإسلام. وهكذا سيكون أمام هذا الدين خياران: إما أصولية متزايدة أو علمانية تضربه في الصميم وتقضي على جوهره على نحو ما فعلت مع المسيحية. عوضاً عن ذلك، يتعين على الإسلام قبول التعددية والتركيز على أنه لا جوهر له، مما يجعله متوافقاً مع الليبرالية والديمقراطية والعولمة. بعبارة أخرى، يعتقد المؤلف أن رؤية الإسلام على أنه دين مؤدلج صالح لكل زمان ومكان تهدد كيانه. ويقترح جاكسون أن النظر إلى الإسلام بوصفه مجموعة مبادئ إنسانية إسلامية وغير إسلامية أمر سيعزز مكانته الحضارية من دون أن يقع في برائن الأصولية المتطرفة أو العلمانية المتطرفة التي سلبت من المسيحية هويتها.

ومهما يكن من شيء، فإن مسعى المؤلف لا يخلو

المتعلقة بعامة الشعب. إن من المثير للاهتمام هنا، أن جاكسون يعتقد أن هذا أمر يمكن تحقيقه بطريقة متناسقة عن طريق علمته مؤهلة.

في مقابل الإسلام المتجاوز للتاريخي، يتحدث جاكسون أيضاً عن الإسلام التاريخي الذي يعني به الحوادث الكبرى التي جرت في عصور الإسلام في الجزيرة العربية تحديداً ضمن سياق ثقافي ولغوي هو القرآن الكريم، وتفسير آياته حسب أسباب النزول، وما إلى ذلك من ملاسبات زمانية محيطة به. في هذا المضمار، يربط جاكسون بين هذا السياق الإسلامي ومفهوم السياق والروح عند نيتشه حيث يعلق نيتشه أهمية كبيرة على السياق ويرى فيها النفس البشرية في سياقها البشري الفسيولوجي - السيكولوجي. وتبرز أهمية هذا الارتباط من خلال ما يعطيه نيتشه من أهمية لعلاقة الإنسان السايكولوجية بالمكان، وأنه لا يأتي من فراغ. إن الارتباط بين النفس والمكان يحدد تاريخية الإسلام، والمكان المتمثل بالجزيرة العربية يلتصق بالأبعاد النفسية التي تتردد في القرآن الكريم وبشخصية النبي محمد التي تمثل نموذجاً للروح التي يهواها نيتشه بسبب طبيعتها التي لا تهانن الواقع بل تركب الأهوال من أجل تخطيه لفرض واقع جديد. هذه الروح لدى نيتشه في غاية الأهمية كونها تثبت الحياة وتزيد من خصبها ما دامت تمثل إرادة القدرة وترتقي بالإنسان ليكون أكثر فاعلية.

وعلى الرغم من أن الإسلام التاريخي، وذلك الذي يتجاوز مفهومه التاريخي، يبدو أن يسيران في فلكين

من باطن الجحيم: وثيقة
الشاهد/ الضحية
المؤلف: سلام إبراهيم
دار الشؤون الثقافية العامة،
بغداد، ٢٠١٣



يقول سولجنتسين، في مدخل كتابه «أرخييل الغولاغ»، إن بعض الناس ينصحك بنسيان الماضي وعدم التدقيق فيه لأنك قد تخسر عيناً إن فعلت ذلك، ويردّ على هؤلاء بالقول إنك إن نسيت الماضي ستخسر العينين معاً. وكتاب الروائي العراقي سلام إبراهيم يدخل في باب التدقيق في الماضي، وإطالة التحديق في فصل محدد من فصوله الفاجعة، صار يمرّ علينا إمّا بوصفه شعاراً سياسياً مختزلاً ندين به الدكتاتورية وإمّا بوصفه جزءاً من جدال عقائدي يسعى إلى مطالب سياسية بعينها. والمقصود هنا مأساة الأنفال وجريمة استخدام النظام الدكتاتوري السابق الغاز الكيماوي ضد شعبه في كردستان. يتناول سلام إبراهيم بتفصيل إنساني مؤثر معاشته الشخصية، بوصفه ضحية وشاهداً في آن واحد، لحادثتين مأساويتين احترق بلهيبهما آلاف الأبرياء من الأكراد القرويين والأنصار المتحصنين في جبال كردستان هرباً من جنون النظام. أما الزمان فهو الخامس من حزيران عام ١٩٨٧، وكان الحادث يومها استخدام النظام لغاز الخردل، ثم الحادي والعشرون من آب ١٩٨٨ عندما عاد النظام ليستخدم غاز الأعصاب.

من شطط في التفاؤل وغلّو في التوفيق بين الإسلام وأفكار واحد من أشهر المناوئين للفكر الغيبي. في ما يتعلق بالتفاؤل، فإن العلمنة التي يرى فيها جاكسون إنقاذاً للإسلام من الأصولية ومنعاً له في الوقت نفسه من السير بدرج المسيحية بفضل إعلائه لإرادة القدرة، ستظلّ تُواجه مواجهة قوية من رجال الدين المحافظين. أما الغلوّ في التوفيق بين الإسلام ونيته، فإن أفكار هذا الفيلسوف لا تميل إلى عقد التصالح بل تتحرك إلى إحداث تدمير خلاق لبناء واقع جديد بلا ميتافيزيقا الأديان. ومع ذلك، فإن هذا الكتاب، يظلّ جهداً مميزاً نطلّ من خلاله على أفكار جديرة بالقراءة عن الإسلام منظوراً إليه برؤى نيتشوية تكشف دائماً جوانب جديدة وطرائق غير مسبوقه في كلّ ما تقع عليه من ظواهر.

قراءة مايكل مكنيل
ترجمة أثير عادل